قراءة في وثيقة تخصّ بجاية من أرشيف تاج مملكة أراغون

Reading in a document about Bejaia from the Aragon Crown Archives

نصيرة عزرودي[(*)]، [1]

[1] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، nacerlex@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 15 /2020/08 تاريخ القبول: 2020/08/17 تاريخ النشر: 2020/09/19

ملخص:

شكّلت بجاية محورا استراتيجيا وأساسيا في الفضاء المتوسّطي، بفضل موقعها الساحلي، مكّن لها ميناءها منذ بنائه سنة 460هـ/1067م النّشاط والحيوية، والاندماج في ذلك الفضاء بشكل واسع، استمدت قوتها أوّلا من البحر، الذي شكّل مصدر ازدهارها، ومن موقعها الاستراتيجي، ومن إرادة حكّامها لجعلها من أكبر مدن المغرب الإسلامي رغم اصطدامها بالمعارضات المحليّة وقوى الأطراف المرينية والزيانية التي كانت تحاول مرارا الحدّ من توسّعها في بعض الفترات التاريخية.

ولقد سمحت لنا العديد من المصادر العربية والأرشيفية بمعرفة حجم النشاط الملاحي البّجائي، ولعل المادّة الوثائقية التي بحوزة مراكز الأرشيف حول العالم شكّلت مادة ثرية رفعت لنا السّتار عن كثير من القضايا المبهمة خاصة منها الاقتصادية، التي مكّنتنا من معرفة الانفتاح المبكر والمثمر لبجاية على البحر المتوسط، وعلى هذا الأساس سننشر وثيقة من أرشيف مملكة أراغون تؤكد لنا حجم المبادلات بين ضفتين، ميورقة وبجاية.

(*) نصيرة عزرودي: naceralex@yahoo.fr

الكلمات الدالة: أرشيف تاج مملكة أراغون. ميورقة، بجاية.

Abstract:

Bejaia formed a strategic and important centre in the mideteranian atmosphere because of its coastal location. Its port, since its it has been built in 1067, ensured for it vitality and activity and integration in that atmosphere widely. It derived its power firstly from the sea, which was a source for its prosperity, and from its strategic position. Second, from the will of its governors to make it one of the biggest cities in the Islamic Maghreb despite the local opposition and the powers of the Almirinide and Zianide that tried widely to limit its expansion in some historical periods.

Some of the many Arabic and archival sources allowed us to know the volume of its navigational activity. The documentary materials that were in the archival centres around the world shaped a rich source for us for many ambiguous cases especially the economic ones that helped us to know the early and fruitful openness of Bejaia on the Mediterranean sea. Based on this we are going to publish a document from the archives of the kingdom of Aragon that ensures the volume of the exchanges between Mallorca and Bejaia

Keywords: Aragon Crown Archives; Mallorca; Bejaia.

1. الدّراسات التاريخية المهتمة بأرشيف تاج مملكة أراغون:

تعدّ الوثيقة المصدر الأول للبحث التاريخي في أي حقبة من الحقب التاريخية، منها ينطلق الباحث وعلى أساسها تنبني ملاحظاته وتحليلاته وتركيباته، والوثيقة تتحدد أهميتها بحسب قربها أو بعدها من الحقبة قيد الدراسة.

إنّ مجمل الدراسات الأجنبية خاصة والتي اعتمدت الوثائق الرسمية جاءت بصدد كشف النقاب عن إشكاليات متنوعة تخصّ الاقتصاد والعلاقات الدبلوماسية بين دول حوضي المتوسط الشرقي والغربي على امتداد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، والثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي والتاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

وما يهمنا من هذه الوثائق ما يخصّ أرشيف تاج آراغون بمدينة برشلونة الإسبانية، وهو في الأصل مؤسسة كاثولكية اسبانية، مهمتها ضمان الحفظ التّام للوثائق للمؤسسات القديمة لتاج أراغون، وكذلك الموارد التاريخية الأخرى، وفي عام 1944م تمّ نقل مقرّها الرّئيسي من بالاو ديل لوستينتين جزء من قصر بيدر البيس الملكي في برشلونة، إلى مبنى الموغافر مع الاحتفاظ بموقعه القديم للاستخدام الرئيسي للمعارض.

تأسست أرشيفات برشلونة الملكية في سنة 1315 في برشلونة على يد الملك جيمس الثاني ملك أراغون العادل، وفي عام 1419 أسس أيضا الأرشيف الملكي لفالنسيا، حيث يتمّ إيداع الأموال القضائية للسيطرة الاقتصادية على إدارة المملكة بعد فترة وجيزة من حرب الخلافة الاسبانية(1701. 1714م)، بعدها تمّ تعيين خافيير جارما رئيسا للمحفوظات، فحاول إنشاء صندوق أرشيف حقيقي لتاج أراغون من خلال الجمع بين المحفوظات الملكية في برشلونة وجميع أموال الإدارة الملكية في أراضي التاج السابق لأراغون.[1]

نظرا لأهميته القصوى استندت إليه بعض من الدراسات الأجنبية والعربية التي تعود للفترة الوسيطة، كونه من بين أهم الأرشيفات الأوروبية من حيث عدد الوثائق التي ناهزت 08 ملايين وثيقة لاتينية وعربية وقطلانية، تمسح فترة هامة من التاريخ الوسيط.

ومن اللافت للنظر أنّه رغم وفرة الوثائق التي تعود للحقبة الوسيطة والاحتفاظ بها من قبل الدول الأوروبية إسبانيا وإيطاليا يطرح علينا تساؤلا مهما حول مصير الوثائق الدبلوماسية الخاصة بالدول المغاربية، ولماذا لا نجد أرشيفا مخصّصا لهذه الوثائق على أراضيها، منها ما يعود إلى القرون الثلاث التي حكمها الحفصيون (625 -941هـ/ 1227-1234م)، والزيانيون (633–924هـ/1235-1518م)، والمرينيون (591- 957هـ / 1194- 1555م)؟ فما هي أسباب غياب الوثائق، أو كيف نفسّر عامل ندرة الوثائق الدبلوماسية في المغرب الإسلامي؟

من حسن الحظ أنّ أرشيف مملكة تاج أراغون احتفظ لنا بمجموعة من الرسائل الأصلية باللغة العربية محفوظة في الخزائن 1+2+3 في صناديق تحمل عنوان" رسائل ملكية دبلوماسية الخ عربية" Diplomaticasetc Arabes CARTAS Reales تخصّ العلاقات مع كل من إفريقية ومملكة تلمسان والمغرب الأقصى وغرناطة من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى غاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي.

2. أهم المشتغلين بأرشيف التّاج:

1.2 . من الأجانب:

في سنة 1909 قام جيمينار صولير Giminer Soler بنشر قسم هام من الوثائق تتمثل في الرسائل لخاصة بعلاقات آراغون مع تونس باللغة العربية، ورافقهما بترجمة إلى الإسبانية في مجلة"حوليات معهد الدراسات القتلانية".[2]

وفي نفس الفترة نشر"فينك" (FINKE) بعض الوثائق في مؤلفه "العقود الأرغونية".[3]

أمّا في سنة 1916 فقد ألّف "كوبلس" (Cubelles) كتابا بعنوان"الوثائق الدبلوماسية الأرغونية"[4]، وقام برنشفيك بنشر وثيقة سنة 1936 مؤرخة في عام 736 . 738هـ/ 1336 . 1337م تهم علاقات آراغون بالدولة الحفصية، وتركّز على مشكل الأسرى القتلانيين.[5]

ومع سنة 1940 نشر ألركون(Alarcon) بالاشتراك مع قرسيا دي لينارس Garcia Di Linares عددا من الرسائل العربية مصوبة بترجمة إلى اللغة الإسبانية[6]، وفي سنة 1954 قام ديفورك (Dufourcq) بدراسة وثائق تعنى بالعلاقات الثنائية بين إفريقية وآراغون ضمن مؤلف استعمل فيه عدة وثائق تعود إلى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر[7]، بينما ضمّن مؤلفه الذي نشره عام 1966 بعنوان" إسبانيا القطلونية والمغرب في القرنين الثالث والرابع عشر" ما يناهز 310 وثيقة تناول من خلالها عدة إشكاليات منها مراسلات وعقود تهمّ علاقات آراغون مع كل من المغرب وغرناطة ومصر.[8]

وفي سنة 1970م نشر(Federico) Udina مقالا عن الوثائق التونسية في أرشيف تاج آراغون في مجلة كرّاسات تونسية.[9]

وفي سنة 1978 نشر برنشفيك مرة أخرى رسالة حفصية تعود إلى سنة 1476م.[10]

وفي سنة 2006 قام المؤرخ الباحث الفرنسي دومينك فاليرين (Dominique Valérian) في رسالة الدكتوراه: بجاية ميناء مغاربي(1067 . 1510م) (Bougie port maghrèbin)[11]، بالاستعانة بأرشيف التاج، ترجمه المؤرخ علاوة عمارة من جامعة الأمير عبد القادر، ونال به جائزة للغة العربية من المجلس الإسلامي الأعلى للغة العربية لعامي 2014/2012م.[12]

استخدم الباحث الفرنسي العديد من وثائق الأرشيف المتوزعة في ايطاليا واسبانيا، ومن أرشيف تاج مملكة أراغون اعتمد على وثائق تعود إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادي، بلغ عددها حوالي 66 وثيقة.

2.2. بالنسبة للباحثين العرب:

من بعد مساهمات الدّارسين الأجانب بنشر وثائق أرشيف تاج آراغون، عمد بعض المؤرخين العرب على إعادة نشر هذه الوثائق في أبحاثهم ودراساتهم التاريخية على رأسهم:

. المؤرخ عطا الله دهينة الذي كان له الدور المميز في رصد العلاقات الدبلوماسية الزيانية عموما ومع الأندلس خصوصا، تنوعت إصداراته ما بين مقالات وكتب.[13]

. الباحث التونسي عمر سعيدان من الأعمال التي استند فيها على وثائق من أرشيف التّاج:

. علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، استخدم حوالي 10 وثائق تحمل الأرقام التالية: 88 . 89 . 90 . 91 . 92 . 95 . 96 . 111 . 113 . 114.[14]

. بنو مرين بالمغرب وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانية في الثلثين الأول والثامن من القرن الرّابع عشر(م)، استعان بـ 25 وثيقة تحمل الأرقام التالية: 77 . 78 . 79 . 80 . 81 . 82 . 83 . 83 مكرّر . 84 . 84 مكرّر . 85 . 86 . 99 . 100 . 101 . 102 . 103 . 104 . 105 . 106 . 107 . 108 . 109 . 110 . 112.[15]

. العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرّابع عشر (م) وسقوط غرناطة، استعان فيه بحوالي 50 وثيقة تحمل الأرقام التالية: 3 . 6 . 7 . 9 . 10 . 4 . 8 . 12 . 13 . 14 . 5 . 16 . 18 . 17 . 11 . 7 . 20 . 21 . 24 . 19 . 23 . 22 . 25 . 26 . 27 . 28 . 30 . 32 . 33 مكرر . 31 . 40 . 35 .

.74.72.73.70.69.68. 67 مكرر.54.66.56.63.62.34.42.33.41
.[16]76.75.71

. الباحث المصري ناصر الدين بسيوني كحيل استعان بوثائق منشورة من أرشيف التاج في أطروحة دكتوراه معنونة بـ: السياسة الخارجية لدولة بني زيان بالمغرب الأوسط(633 – 962هـ / 1235 – 1554م) [17]، مستعينا فيها بالوثائق التي نشرها إيمانويل دوفرك كمصدر هام لدراسته.

. المؤرخ المغربي أحمد عزاوي بنشر دراسة هامة عنوانها: الغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ، دراسة وتحليل لرسائله، في أجزائه الأربع[18]، معتمدا على كمّ كبير من الوثائق في تحليل الوضع السياسي لدول الغرب الإسلامي في الفترة المدروسة، فجاءت دراسته شاملة ومتميزة عن الدّراسات العربية السابقة واللاحقة.

. المؤرخ المصري رضوان البارودي قدم دراسة في مقال بعنوان:" سفارات متبادلة بين بني زيان ومملكة آراغون" ضمن كتابه: دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس.[19]

3.2. الوثائق العربية بالأرشيف:

يعدّ هذا الأرشيف واحدا من أكبر الأرشيفات في العالم المتعلقة بالعصور الوسطى، ويضمّ هذا الأرشيف كمية كبيرة من الوثائق العربية، وذلك بسبب العلاقات الغنية والقوية بين مملكة أراغون والعالم الإسلامي المطلّ على البحر المتوسط خلال العصر الوسيط

عدد الوثائق فيه إجمالا 211 وثيقة في خانة الوثائق العربية (Cartas árabes)، لكن عند الاطلاع عليها تبيّن أنّ هذه الوثائق ليست كلها مكتوبة باللغة العربية، بل ما هو مكتوب بالعربي فقط جاء في حوالي 162، تخصّ الحديث عن العلاقات الآراغونية مع الدول الإسلامية المجاورة مغاربية ومشرقية، وبعض الوثائق القليلة الخاصة بعقود النكاح.

تمّ جمع هذه الوثائق المكتوبة باللغة العربية واللاتينية والقطلانية والتي كتبت بدءًا من رسالة تعود للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى غاية سنة 833هـ/1430م في كتاب من إصدار وزارة الثقافة الإسبانية بمدريد سنة 2009 بعنوان عطر المحبة:

El Perfume de la Amistad. Correspondencia diplomática árabe en archivos españoles (siglos XIII–XVII), Catálogo de la exposición celebrada en el Palacio de los Virreyes de Barcelona. Muestra cartas escritas en árabe enviadas a los monarcas de Aragón por los reyes y otras autoridades de territorios como Marruecos, Argelia, Túnez, Libia y Egipto,Centro de Publicaciones. Ministerio de Cultura, Secretaría General Técnica,Madrid,[2009].

بلغ عدد الوثائق العربية في هذا الفهرس حوالي: 183 وثيقة، تمّ تقسيم الفهرس إلى أربع خانات، خانة لتاريخ الوثيقة، وخانة للجهة الموجهة لها الوثيقة، وخانة لمضمون الوثيقة، وأخيرا خانة لرقم الوثيقة، وقد حملت هذه الوثائق العربية الأرقام التالية حسب الترتيب في فهرس الكتاب:

. 171 . 1 . 156 . 145 . 155 . 166 . 167 . 115 . 165 . 154 . 87 . 162
. 78 . 79 . 84 . 128 . 117 . 77 . 147 . 157 . 3 . 2 . 116 . 146 . 172
. 125 . 82 . 122 . 81 . 124 . 121 . 80 . 120 . 19 . 118 . 163 . 148
. 131 . 168 . 132 . 149 . 9 . 8 . 130 . 6 . 129 . 10 . 133 . 127 . 126
. 83 . 150 .88 . 150 . 88 . 5 . 15 . 14 . 13 . 123 . 12 . 4 . 135 . 134
. 22 . 23 . 20 . 19 . 21 . 86 . 24 . 7 . 11 . 17 . 18 . 85 . 84 . 16 . 136

. 152 . 137 . 28 . 151 . 90 . 89 . 170 . 169 . 158 . 91 . 26 . 27 . 25
. 39 . 38 . 42 . 30 . 41 . 33 . 35 . 40 . 35 . 40 . 31 . 138 . 33 . 32 . 92
. 52 . 29 . 50 . 36 . 51 . 48 . 49 . 159 . 46 . 47 . 45 . 44 . 43 . 37 . 34
. 56 . 55 . 63 . 62 . 60 . 59 . 64 . 65 .61 . 57 . 94 . 93 . 67 . 58 . 53
68 . 139 . 104 . 106 . 99 . 102 . 101 . 67 . 98 .95 . 54 . 66 . 97 . 96
. 142 . 111 . 141 . 140 . 109 . 108 . 107 . 69 . 100 . 105 . 103 .
. 113 . 143 . 71 . 160 . 74 . 160 . 74 . 144 . 72 . 73 . 112 . 110
153 . 164 . 161 . 76 . 75 . 114

4.2. محتوى الوثائق:

سائر هذه الوثائق تؤكد على الدور الهام الذي كانت تحتله التجارة في العلاقات القطلانية . التلمسانية الحفصية المرينية النصرية المملوكية، فالتجارة بين هذه الدول كيّفت العلاقة بينهم وطبعتهم، وكانت سببا مباشرا في الحدّ من الحروب بينهم، وأخطار القرصنة المحدّقة برعايا البلدان والتجّار وأصحاب المراكب والأجفان، كما تظهر هذه الوثائق معرفة دقيقة في الغالب بوضعية الغرب الإسلامي خصوصا والعالم الإسلامي عموما، وتسمح خصوصا بفهم الأهداف السياسية والاقتصادية للقرارات المتّخذة والمصالح المتراهن عليها.

2. الوثيقة المراد دراستها:

2.1 . صورة الوثيقة:

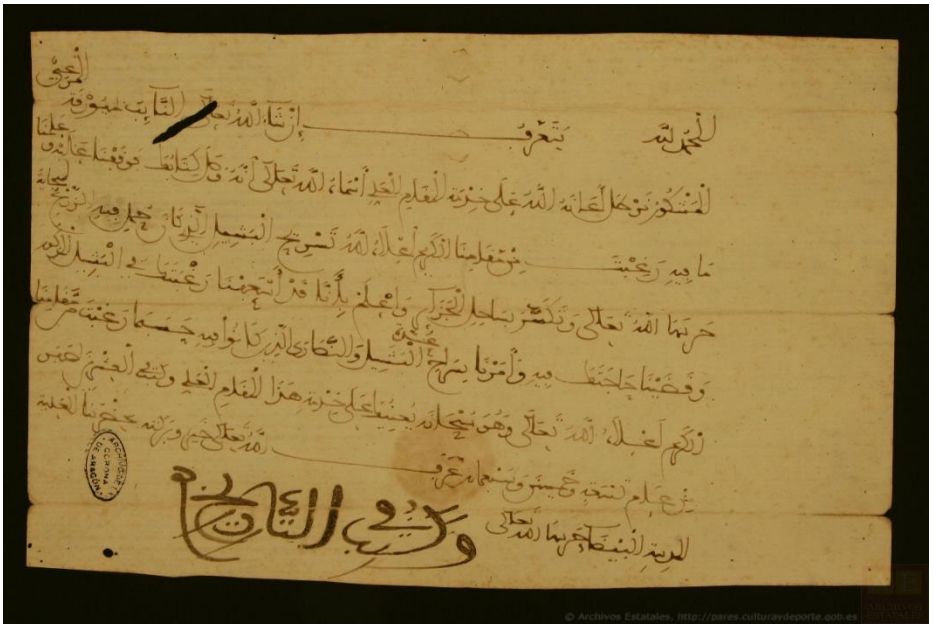

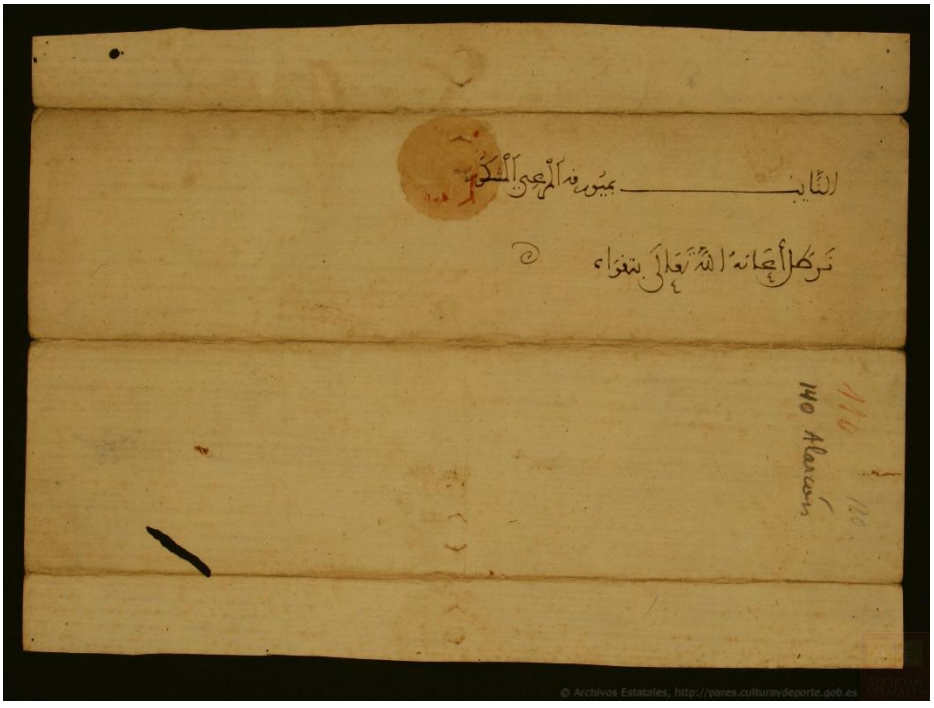

2.2. البيانات الكوديكولوجية للوثيقة:

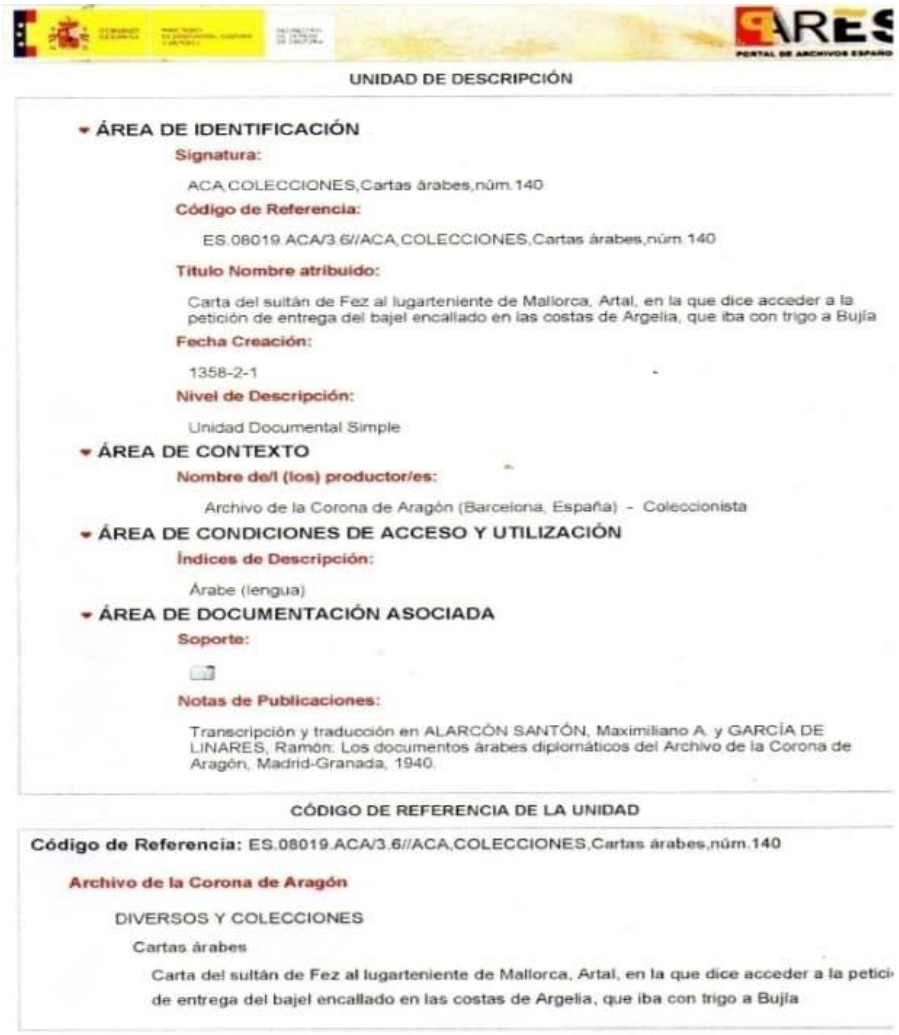

UNIDAD DE DESCRIPCIÓN

▾ ÁREA DE IDENTIFICACIÓN

Signatura:

ACA,COLECCIONES,Cartas árabes,núm.140

Código de Referencia:

ES.08019.ACA/3.6//ACA,COLECCIONES,Cartas árabes,núm.140

Título Nombre atribuido:

Carta del sultán de Fez al lugarteniente de Mallorca, Artal, en la que dice acceder a la petición de entrega del bajel encallado en las costas de Argelia, que iba con trigo a Bujía

Fecha Creación:

1358-2-1

Nivel de Descripción:

Unidad Documental Simple

▾ ÁREA DE CONTEXTO

Nombre de/l (los) productor/es:

Archivo de la Corona de Aragón (Barcelona, España) - Coleccionista

▾ ÁREA DE CONDICIONES DE ACCESO Y UTILIZACIÓN

Índices de Descripción:

Árabe (lengua)

▾ ÁREA DE DOCUMENTACIÓN ASOCIADA

Soporte:

Notas de Publicaciones:

Transcripción y traducción en ALARCÓN SANTÓN, Maximiliano A. y GARCÍA DE LINARES, Ramón: Los documentos árabes diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón, Madrid-Granada, 1940.

CÓDIGO DE REFERENCIA DE LA UNIDAD

Código de Referencia: ES.08019.ACA/3.6//ACA,COLECCIONES,Cartas árabes,núm.140

Archivo de la Corona de Aragón

DIVERSOS Y COLECCIONES

Cartas árabes

Carta del sultán de Fez al lugarteniente de Mallorca, Artal, en la que dice acceder a la petici
de entrega del bajel encallado en las costas de Argelia, que iba con trigo a Bujía

http://pares.mcu.es/ParesBusquedas/servlets/Control_servlet?accion=121&txt_id_des... 09/01/2

3.2 . تحرير الوثيقة:

الحمد لله يُتعرّفُ إن شاء الله تعالى النّائب بميورقة المرعِيّ المشكور نرطل أعانه الله على خدمة المقام العلي أسماه الله تعالى، أنّه قد وصل كتابك فوقفنا عليه وعلمنا ما فيه، رغبت من مقامنا الكريم أعلاه الله تسريح البّثيل[20] الذي كان حمل فيه الزّرع لبجاية . حرسها الله تعالى . وتكسّر بساحل الجزائر، واعلم بأنّا قد أَسعفنا رغبتك في البّثيل المذكور، وقضينا حاجتك فيه، وأمرنا بسراح عُدّة البثيل والنّصارى الذين كانوا فيه حسبما رغبت من مقامنا الكريم أعلاه الله تعالى، وهو سبحانه يعيننا على خدمة هذا المقام العلي.

وكتب في العشرين صفر من عام تسعة وخمسين وسبعمائة عرّف الله تعالى خيره وبركته بحضرتنا العليّة المدينة البيضاء حرسها الله تعالى، وكُتب في التاريخ.

النائب بميورقة المرعِي المشكور، نرطل أعانه الله تعالى بتقواه.

4.2. بيانات الوثيقة:

جاءت هذه الوثيقة في فهرس كتاب "عطر المحبة" تحت رقم 140[21] بـالعنوان التالي:

Al gobernador de mallorca , accediendo a devolver un barco encallado en Argelia

وترجمتها: إلى حاكم ميورقة الموافقة على إعادة سفينة تقطّعت بها السبل في الجزائر.

والجهة هي تونس(Túnez)، والسنة: 20 صفر 759 هـ/ الموافق لـ 1 فبراير 1358م.

بينما في التفاصيل الكوديكولوجية التي مُنحت لنا مع الوثيقة بتاريخ 2017/01/9م تمّ كتابتها كما يلي:

Carta del sultán de Fez al lugarteniente de Mallorca, Artal, en la que dice acceder a la petición de entrega del bajel encallado en las costas de Argelia, que iba con trigo a Bujía.

وترجمتها: رسالة من سلطان فاس إلى ملازم ميورقة نرطل، يدّعي فيها أنه يوافق على طلب تسليم البافل الذي تقطعت به السبل على ساحل الجزائر، والذي كان ذاهبا مع القمح إلى بجاية.

وهذه الوثيقة نشرها أولا كلاّ من: Maximiliano A Alarcón y Santón; R García de Linares في كتابهما: Los Documentos Arabes del Archivo de la corona de Aragon,Madrid,1940 تحت رقم: 140.

هذه الأخيرة استعان بها المؤرخ المغربي "أحمد عزاوي" في كتابه: "الغرب الإسلامي" معنونا إيّاها بـ"قبول أبي عنان تسريح نصارى وعُدّة مركب أركوني تكسّر على ساحل مدينة الجزائر"، جعل ترتيبها تحت رقم 388[22]، وفي فهرس رسائله وضع عنوانها بـ: رسالة مرينية إلى أراكون[23]، وللعلم فإنّه عندما استعان بالوثيقة، أعاد كتابة الشّطر الأول منها فقط، ولم يكتب تكملة الشّطر الثاني لها:" النائب بميورقة المدّعي المشكور، نرطل أعانه الله تعالى بتقواه"، فنقل لنا في كتبه الشّطر الأول فقط من الوثيقة من قوله: "الحمد لله...وكتب في التاريخ"، من كتاب ألركون السابق الذكر.

. من خلال هذه الرسالة نستخلص بأنّ النّائب على مدينة ميورقة . كان ينوب عنها باسم حاكم أراغون . [24]، سبق وأن وجهّ رسالة إلى حاكم الجزائر آنذاك، وهي تحت السلطة المرينية[25] عاصمتها آنذاك المدينة البيضاء بفاس، يطلب منه استرجاع السفينة التي كانت

محملة بالقمح نحو مدينة بجاية، وجنحت بطاقمها نحو ساحل الجزائر، بتاريخ 20 صفر سنة 759هـ الموافق لـ 01 فبراير 1358م.

3: التّحليل والتّعليق على الوثيقة:

. ظهرت العديد من الدراسات حول بجاية سياسيا واقتصاديا وعمرانيا وفكريا، لكن الحق يقال تُعدّ دراسة الباحث الفرنسي دومينيك فاليرين "بجاية ميناء مغاربي" من أهم الدّراسات قيمة وثراء، بفضل الدّعم الأرشيفي الذي نالته الدراسة، مكّنته أن يقدّم صورة نشطة وحركية للمدينة والميناء، بفضل إبرامها علاقات كثيفة ومنتظمة مع دول الحوض المتوسطّي، مُسلطّا الضوء على فترات الرّكود والفتور والنّشاط والذروة للنشاط الملاحي لبجاية.

. إنّ الوثيقة التي بحوزتنا لم يستند إليها الباحث دومنيك فاليرين في كتابه الهام، وهي ذات قيمة تاريخية واقتصادية خصّت بها مدينة بجاية[26] مؤرخة سنة 759هـ/1358م، وحسب الوقائع التاريخية فإنّها كانت تحت حكم السيطرة المرينية ابتداء من سنة 748هـ/1347 إلى غاية سنة 760هـ/-1359م، كان على ولايتها في التاريخ الذي يُصادف الوثيقة الوالي يحي ابن ميمون بن مصمود(758-760هـ/1357-1359م)، تمّ تعيينه من قبل السلطان أبو عنان المريني(749 . 759هـ/1348 . 1358م).[27]

. تُثبت لنا هذه الوثيقة حسب التاريخ المدوّن عليها أنّ العلاقات التّجارية استمرت بين بجاية وميورقة(Majorque)[28]، على الرغم من جزم أحد الباحثين أنّ الفترة الفاصلة بين 737 . 740هـ/1337. 1340م لم تسجل أي رحلة باتجاه ميورقة نظرا لغزوات بين مرين على شبه جزر البليار، لتعود حسب رأيه في سنة 741هـ/1341م بين الحاكم الحفصي لبجاية وتونس بغرض حماية التجار الميورقيين.[29]

4. العلاقات التجارية الميورقية البجائية:

يعدّ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي قرن الذروة التجارية، على الرغم من توتر العلاقات السياسية بسبب القرصنة، إلاّ أنّ الأعمال التجارية لم تتوقف بصفة دائمة، انطلقت المراكب خصوصا من ميورقة باتجاه المغرب، وأصبحت الجزيرة بسرعة مركزا للإنتاج الحرفي حيث جاءت بعض العائلات البرشلونية الكبيرة إليها بغرض الاستثمار، فمنذ سنة 997هـ إلى 744هـ الموافق لـ 1298م إلى 1343م كانت الجزيرة مستقلّة عن بقيّة الفدارلية الأراجونية، وأبرمت معاهدات السّلم مباشرة مع الحفصيين في توتس أو في بجاية، وتوفر للميورقيين بداية من 701هـ/ 1302م فنادق وقناصل خاصة بهم، انطلقت عديد السفن من ميورقة إلى بجاية بداء من 710هـ و822 هـ الموافق لـ 1310م و1419م، إذ تُبيّن الوثائق الميورقية أنّ 315 مركبا انطلق من الجزيرة إلى بجاية، وحصل نوعا من الفتور بين 720هـ و751هـ و772هـ الموافق لـ 1320 و 1350 ثمّ 1370، مع التأكيد على عدم انقطاع الحركة نهائيا.[30]

5. التّعليق على الوثيقة:

. تكشف لنا هذه الوثيقة عن العلاقات التجارية بين ميورقة وبجاية الحفصية، حيث أرسلت ميورقة سفنا محمّلة بالحبوب، ممّا يُظهر لنا مدى حاجة بجاية إلى واردات الحبوب واستيرادها عبر البحر[31]، وهذه الرسالة تؤكد حركية الاستيراد المستمرة بين ميورقة وبجاية، ففي هذا الصّدد يستدلّ الباحث دومينك فاليرين من خلال تعامله مع الأرشيف الميورقي أنّه حدّد وثائق محدودة تخصّ استيراد القمح بين البلدين، أولاها سنة 745هـ/ 1344م تفاوض سلطان تلمسان مع الميورقي بدرو(Pedro) لإرسال القمح من هنين إلى بجاية، وثانيها في سنة784هـ/1382م سافر ميورقي صاحب مركب إلى وهران حيث حمل قمح تاجر مسلم لنقله إلى بجاية، وثالثتها في سنة 857هـ/ 1453م تخصّ عقد كراء ميورقي على حمل القمح من تنس لبيعه في بجاية.[32]

وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤلات مُلحّة عن سبب استيراد القمح من ميورقة، فهل هذا راجع لعدم كفاية الإنتاج ببجاية؟، أم أنّ بجاية وجدت صعوبة في التّزود بالحبوب من جيرانها خاصة تونس؟، أم أنّ السبب يعود لتعرض محصول بجاية لظروف طبيعية جعلته سيّئا، ممّا استدعى تمويل خارجي؟، أم يعود الأمر لعوامل أكثر ملائمة بالنسبة للحبوب المستوردة عبر البحر، ويتعلق الأمر بسعرها وبكميّاتها وحتى نوعيتها؟ أم أنّ بجاية تعرّضت لمجاعات أو أوبئة حتّمت استيراد القمح لإعالة الساكنة بها؟

. من المؤكد قطعا أنّ القمح من أهم سلع التجارة المتوسطيّة، وتفسّر تلك المبادلات حوله أحيانا بالعجز الدّائم في المحاصيل، وأيضا ببعض حالات القحط العابرة، فمن خلال هذه الوثيقة يتأكد لنا أنّ بجاية سارعت مرارا لاستيراد القمح، لكن لا شيء من الوقائع التاريخية يثبت لنا أن المحاصيل ببجاية تعرضت لأزمات طبيعية، بل على الأغلب أن أرضها ليست صالحة للحبوب إذا ما تمّ مقارنتها بسهول إفريقية أو الجهات الغربية(متيجة، سهل وهران)، فعلى الرغم من وجود إشارات سابقة عن فترة الوثيقة تحيلنا على غنى أرياف بجاية بالحنطة والشعير، بل كانت مزروعاته بكميّات كافية لإطعام عدة بلدان، لكن الأمر بدأ يتناقص بين القرن الثاني عشر والقرن السّادس عشر، بسبب إفراط في الطقس(جفاف، السيروكو المبكر..) أو إنساني (الحروب) ففي الغالب يكون المحصول مهدّدا بفعل هذه العوامل الطّبيعية.[33]

. من الواضح تاريخيا أنّ تاريخ الوثيقة الذي يصادف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، والذي صادفت فيه بجاية أزمة وضعف حسب الباحث دومينيك بسبب النزاعات السياسية عليها، وتفاقمت الوضعية بوصول الطاعون في 759هـ/ 1358م[34] الذي عزّز من التّقلّص الديمغرافي، ممّا جعل بجاية تفقد دورها الرّيادي، وخرجت ضعيفة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، وجعل السيطرة القطلانية . الأراجونية تبحث عن سيطرة سياسية على بجاية بفرض ضريبة خضوع، ولم تسترجع نشاطها مع الميورقيين والإيطاليين والبروفانسيين إلاّ في سنة 833هـ/1430م.[35]

الأمر الذي يجعلنا نتوقع حسب هذا المعطى التاريخي حاجة بجاية للحبوب لسدّ احتياجات السّاكنة بسبب الوضع الديمغرافي والسياسي المتأزّم.

. تمّ إرسال تلك الشّحنة من القمح عبر سفينة ضخمة اسمها البثيل(البنفيل)[36]، وبما أنّ تاريخ شحنها كان في فصل الشّتاء فقد تعرّضت للكسر بساحل الجزائر، وتم أسرها وأسر طاقمها، لذا طالب النّائب على مدينة ميورقة نرطل (Artal) من السّلطان المريني أبو عنان(752 . 759هـ/1351 . 1358م) أن يُعيد له تلك السّفينة بحمولتها، وفي الأخير تمّ له مراده.

. **خاتمة:**

. رغم قلّة المادة التّاريخية التي حملتها الوثيقة لكنها تُشكّل لبنة مستمرة لحلقات تاريخ مدينة بجاية خلال العصر الوسيط، ويبقى الأمل دوما في العثور على وثائق أخرى تُغطّي تاريخ بجاية عموما والمغرب الأوسط خصوصا، فمن شأن ذلك أن يساعد الباحث على سدّ العديد من الثغرات المفقودة في تاريخنا.

الهوامش:

[1]قمت بتقديم محاضرة بعنوان "الوثائق العربية بأرشيف تاج مملكة أراغون ودورها في التأريخ لتاريخ المغارب خلال العصر الوسيط" بكلية العلوم الإنسانية بالقنيطرة، من تنظيم شعبة التاريخ والحضارة، (ماستر تاريخ المغارب والعالم المتوسّطي+ ماستر التاريخ المقارن للمجتمعات الوسيطية)، وذلك يوم الاثنين 30 ديسمبر 2019م انظر.تقرير حول اللقاء العلمي المنظم حول موضوع: **الوثائق والأرشيف التاريخي بالغرب الإسلامي وتحقيق المخطوط: الحصيلة والنتائج**، صحيفة الزمن المغربي، السنة 15، العدد 154، يناير 2020، ص11.

[2] SOLER(G), Documentos de TunezdelArchivo de la corona de Aragon, Institut Estudis catalans,Annuari,1909 -10,pp 22- 25

[3]Finke , Acta Aragonensia,3 volume,Berlin,Leipzig,1908 - 1922

[4]Cubelles,DocumentosdiplomaticosAragineses,RevueHispanique,t XXXVII ,pp105- 205

[5]Brunschvic(R),Documents inedits sur les relations entre la couronned'Aragon et la berberieorientale au XIV siècle,Annal de l'institut des etudes orientales,Alger,1936,p235

[6]Maximiliano A Alarcón y Santón; R García de Linares, Los Documentos Arabes del Archivo de la corona de Aragon,Madrid,1940.

[7]Dufourcq(CH E),Documents inedits sur la politiqueIfriqiyenne de la couronne d'Aragon,bercelone,1952

[8]Dufourcq(CH E),L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles,paris,1966

[9]Udina (Federico), Documents relatifs à la Tunisie dans les archives de la couronne d'Aragon, Les cahiers de Tunisie,N 69-70, t. 18. 1er-2e trim. 1970, p. 107-116

[10]Brunschvic(R), Une letter hafside de Uthman au due de Milan (1476), Cahiers de Tunisie,n° 105- 106,1978,p27- 34

[11]Dominique Valérian,Bougie port maghrèbin 1067-1510, Bibliothèque des Écoles françaises d'Athènes et de Rome, 2006

[12] دومنيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي**، ترجمة علاوة عمارة، 2ج، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م.

13 Atallah Dhina , Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa Ier et d'Abou Tachfin Ier / Alger : Office des publications universitaires , 1985

Les états de l'Occident musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles [Texte imprimé] : institutions gouvernementales et administratives / Alger : Office des Publications Universitaires , impr.1984

Le sultanat 'Abd Al-Wadide au XIVème siècle : essai sur les structures politiques, sociales et économiques de l'état Tlemcenien à l'époque d'Abu Hammu Musa 1er et d'Abu Tashufin 1er ; sous la direction de Charles-Emmanuel Dufourcq ,1971

Les états de l'occident musulman au XIIIe, XIVe et XVe siècles : institutions gouvernementales et administratives ; sous la direction de Charles Dufourcq , 1980

-Un documents inédit: le texte arabe traité aragono-marocain de Fès, dans Majallat at-Târîh, 2e semestre, Alger, 1982.

- Lettres d'Abû Tâshfîn 1er et de Hilâl le catalan, consérvées aux archives de la couronne d'Aragon à Barcelone, *dans R.H.C.M.,* N° 10, octobre 1973, pp., 108 à 117.

- Étude comparative de deux traités de Tlemcen: celui de 1286 entre le royaume cAbd al-Wadîde et la couronne d'Aragon et celui de 1339 entre le roi Jacques III de Majorque et le sultan marinide Abû al-Hasan, dans R.H.C.M., N° II, 1974, pp., 29 à 37.

-Les États de l'occident musulman au XIIIe XIVe siècles, Publiée par l'Office des des Publications Universitaires, Alger, 1984.

-Aide des Zayyanides aux Andalous, dans R.H.C.M., N° 13, Janvier 1976, pp., 7 à 17.

-Essai sur les structures politiques, sociales et économiques de l'Etat Tlemcenien à l'époque d'Abû Hammû Mûsâ 1er et d'Abû Tâshfîn 1er, thèse, Université de Paris X -Nanterre-, 1971

.Le royaume abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa Ier et d'Abou Tachfin Ier Texte imprimé / Alger Office des publications universitaires ENAL ,1985

.Les États de l'Occident musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles Texte imprimé / Alger Office des publications universitaires, ENAL,1984

[14]عمر سعيدان، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر (م)، دراسة ووثائق(رسائل ومعاهدات) وتعاليق، وتحاليل**، منشورات سعيدان، الجمهورية التونسية، سوسة، 2002م.

[15]عمر سعيدان، **بنو مرين بالمغرب وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانية في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر (م)، دراسة ووثائق(رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل**، منشورات سعيدان، الجمهورية التونسية، سوسة، 2002م.

[16]عمر سعيدان، **العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر (م)، دراسة ووثائق(رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل**، منشورات سعيدان، الجمهورية التونسية، سوسة، 2003م.

[17]ناصر الدين بسيوني كحيل، **السياسة الخارجية لدولة بني زيان بالمغرب الأوسط(633 – 962هـ / 1235 – 1554م)** (أطروحة دكتوراه)، جامعة الإسكندرية .كلية الآداب . سنة 2003م.

[18]أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ، دراسة وتحليل لرسائله**، 3ج، الرباط نيت المغرب، 2006م.

[19]رضوان البارودي، **سفارات متبادلة بين بني زيان ومملكة آراغون، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص ص 13 . 71

[20]البنفيل، bajel . Le panfile، ظهر هذا النوع في النّصف الثاني من القرن الرابع عشر، للأسطول الميورقي بالأساس، كان مركبا للحمولة بأحجام مذهلة، تقارن بالكوكات coques. دومينيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي**، 752/2.

[21]El Perfume de la Amistad. Correspondencia diplomática árabe en archivos españoles (siglos XIII-XVII),p27.

[22] أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي خلال القرنين 7 و8هـ، دراسة وتحليل لرسائله، الفعالية المرينية في الغرب الإسلامي(731 . 759هـ/1331 .1358م)**، الرباط نيت المغرب، الرباط، 2006 ، 513/3.

[23]أحمد عزاوي، المرجع نفسه، 546/3.

[24]الرسالة موجهة من وإلى النائب بميورقة وليس إلى حاكم أراغون.

[25]انطلقت الحملات المرينية بقوة على يد أبو عنان المريني، فاحتل مدينة الجزائر والمديّة، وبجاية وقسنطينة وعنابة ثمّ تونس، وامتدّت يده إلى قابس جنوبا والجريد غربا، لكن سرعان ما تحولت تلك الانتصارات إلى هزائم، بسبب اعتراض قبائل رياح، وعلى رأسهم الذواودة، الذين وقفوا ضدّه لأنه منعهم من تحقيق مكاسب من خلال جمع الضرائب من أهل المدن، فاضطر أبي عنان الرجوع إلى فاس سنة 759هـ/1358م حيث قتل على أحد وزرائه.انظر. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2015، 2/ 119. 120.

[26]تجاذبت بجاية بين قوى ثلاث الحفصيين والمرينيين والزيانيين. للمزيد انظر. دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، 69/1. 113.

[27]ابن قنفذ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 175. 175 . الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1996، ص 99 . روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1،208/1988 . 209 . وعن تفاصيل السيطرة المرينية على المغرب الأوسط عموما وبجاية الحفصية خصوصا. انظر. أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي**، 30/3. 41.

[28]ميورقة، هي كبرى جزر البليار، بدأت حملات المسلمون عليها في عهد عبد الرحمن بن الحكم، الذي بعث إليها حملة بحرية إليها في سنة 847هـ، وكان الفتح الحقيقي لها وللجزائر الشرقية على يد عصام الخولاني، وضمها إلى مملكته دانية، واستمر فيها إلى غاية وقاه سنة 1044م، وسميت في عده مدينة ميورقة مدينة مجاهد، ولما سقطت مدينة دانية في يد بني هود أمراء سرقسطة في سنة 1076، وبعدها استردّت الجزائر استقلالها في ظلّ ولاتها، واستمرّت إمارة مستقلّة، ثم تصارع حملات النّصارى المتعاقبة عليها من الجنويين والبيزيين والقطلان، حتى سقطت نهائيا على يد النصارى بقيادة خايمي الأول ملك أراغون الملقّب بالفاتح، وذلك ستة 630هـ/1232م. للمزيد حول تاريخ المدينة وآثارها الإسلامية. انظر. عصام

سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)(89. 685هـ/708 . 1287م)**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص ص 19. 460 . عبد الله عنان، **الآثار لأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص124 . 133.

[29]علي عشي، **التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2. 10هـ/8 . 16م)**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، 2016 . 2017، ص 464.

[30] دومنيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي**، 840/2 844.

[31]استوردت بجاية الحبوب من العديد من الدول منها: أراجون وفلورنسا وجنوة وصقلية ومن المملكة الأنجفية وسردينيا. للمزيد انظر. دومينيك فاليرين، المرجع نفسه، 460/2 . 470.

[32]دومينيك فاليرين، نفسه، 470/1 471.

[33]نفسه، 262/1 264.

[34] لم تشر المادة التاريخية بحصول الطاعون سنة 759هـ/1358م، حسبما أشار فاليرين، فمن المؤكد أنّ بدايات الطاعون الجارف في بلاد المغرب الإسلامي كان عام 749هـ/1347، ثمّ تلته طواعين أقلّ خطورة نسبيا، لكن ينتهي هذا الطاعون في السّتينات بأقلّ حدّة، مما يؤكد بأنّه لم يدم، وأن آخر سنة تلت سنة 750هـ/349م لأنها مثّلت سنة الذروة، ليكون بعدها الانحسار، فالطواعين التي جاءت بعد الطاعون الأعظم، كانت عبارة عن استفاقة للوباء الأصلي، وهي بذلك أقلّ فتكا، بل إنّ بعضها كان محليّا ذا نتائج محدودة. بوجرة حسين، **الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350 . 1800)**، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 2011، ص168 . أحمد السعداوي، **المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8 . 9هـ/14. 15م**، مقال منشور IBLA N°Revue de l'Institut des belles-lettres arabes , 175، la Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée 1 . 1995، ص 121. 123.

[35]دومينيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي**، 860/2 861 862.

[36] يذكر دومينيك أنّ عدد سفن البنفيل ما بين سنة 1351م إلى 1400م حوالي 08، ومع الإشارة التي بحوزتنا يصبح عددها تسعة. انظر. دومينيك فاليرين، المرجع نفسه، 741/2.

ثبت المصادر والمراجع:

. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2015م.

. . أحمد السعداوي، **المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8 . 9هـ/14. 15م**، *مقال منشور Revue de l'Institut des belles-lettres arabes IBLA la Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée ،175 , N° 1 . 1995م.*

. أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي خلال القرنين 7 و8هـ، دراسة وتحليل لرسائله، الفعالية المرينية في الغرب الإسلامي(731. 759هـ/1331. 1358م)**، الرباط نيت المغرب، الرباط، 2006 م.

. بوجرة حسين، **الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350 . 1800)، ط1**، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 2011م.

. تقرير حول اللقاء العلمي المنظم في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة حول موضوع: **الوثائق والأرشيف التاريخي بالغرب الإسلامي وتحقيق المخطوط: الحصيلة والنتائج**، صحيفة الزمن المغربي، السنة 15، العدد 154، يناير 2020م.

. دومنيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي**، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م.

. روبار برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،1/208. 209.

. الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1996م.

. عبد الله عنان، **الآثار لأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

. عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)(89 685هـ/708 . 1287م)**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

El Perfume de la Amistad. Correspondencia diplomática árabe en archivos españoles (siglos XIII–XVII), Catálogo de la exposición celebrada en el Palacio de los Virreyes de Barcelona. Muestra cartas escritas en árabe enviadas a los monarcas de Aragón por los reyes y otras autoridades de territorios como Marruecos, Argelia, Túnez, Libia y Egipto,Centro de Publicaciones. Ministerio de Cultura, Secretaría General Técnica,Madrid,[2009].